مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

The Poetic Lexicon in the Diwan of Ibn Hisham al–Qurtubi

Eman Hamid Shuker
Dr. Farhan Mohammed Farhan Mahmoud
College of Islamic sciences – University of Fallujah
dr.farhanmohammed@uofallujah.edu.iq
07834014328

Abstract :

This study addresses one of the literary aspects in the poetry of Ibn Hisham al–Qurtubi, namely the poetic lexicon. The research sheds light on the most prominent lexical fields that dominate the poet's literary output and the meanings they convey, contributing to the depth of the themes and ideas he expressed. These lexical fields include words related to nature, love and libertinism, intoxication and wine, and praise. The study also includes a brief overview of the poet's biography, his era, and status, in addition to an introduction to the concept of the poetic lexicon and the methodology for analyzing it in poetic works.

Keywords: (**lexicon – poetic – Diwan – al–Qurtubi**).

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

المعجم الشعري في ديوان ابن هشام القرطبي

الباحثة. إيمان حامد شكر
أ.م.د. فرحان محمد فرحان محمود
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الفلوجة
dr.farhanmohammed@uofallujah.edu.iq
07834014328

الملخص

تتناول هذا الدراسة أحد الجوانب الأدبية في شعر ابن هشام القرطبي والمتمثل بالمعجم الشعري، إذ سُلطت الأضواء في هذه البحث على أبرز الحقول اللفظية التي هيمنت على النتاج الشعري عند الشاعر ابن هشام وما تعكسه من دلالات أسهمت في انضاج المعاني والموضوعات التي نظم فيها هذا الشاعر، والتي تمثلت بألفاظ الطبيعة، وألفاظ الغزل والمجون، وألفاظ السكر والخمرة، وألفاظ الثناء، وقد اشتملت الدراسة أيضا على إضاءة في ترجمة الشاعر وعصره ومكانته، ومدخل في مفهوم المعجم الشعري، وآلية دراسته في النتاجات الشعرية.

الكلمات المفتاحية: (المعجم – الشعري – ديوان – القرطبي)

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

المعجم الشعري في ديوان ابن هشام القرطبي

الباحثة: إيمان حامد شكر
أ.م.د. فرحان محمد فرحان محمود
كلية العلوم الإسلامية – جامعة الفلوجة

المقدمة

الحمد لله عدد ما سبح الورى، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى، وعلى آله وصحبه أولي النهى والتقى، ومن سار على أثرهم أجمعين، وبعد.

إنّ المعجم الشعري يشكل عنصرا أساسيا فاعلا في تحقيق أدبية النصوص في نتاج أي شاعر من الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي حتى يومنا هذا، وقد حظيت هذه الجزئية البنائية الشعرية التي يتشكّل السياق الشعري جراءها عبر توظيف الألفاظ لتأدية المعاني الشعرية على اختلاف حقولها بعناية الدارسين لدى كثير من الشعراء، ولكون الشاعر الأندلسي ابن هشام القرطبي من الشعراء الذين لم يحظَ نتاجهم الشعري بدراسة بحثية في هذا الجانب فضلا عن ضآلة الدراسات الأدبية لنتاجه الشعري ارتأينا تخصيص هذا البحث لدراسة شعره تحت عنوان (المعجم الشعري في ديوان ابن هشام القرطبي)، وقد اقتضى عنوان البحث وطبيعة المادة الشعرية المدروسة؛ أن يتوزع البحث على أربعة مطالب مسبوقة بمهاد انقسم بين مهاد ترجمي خُصّص لتقديم ترجمة موجزة للتعريف بالشاعر، وعصره، ومكانته الأدبية، ومهاد نظري خُصّص لبيان مفهوم المعجم الشعري وأهميته في النتاجات الشعرية، وآلية دراسته في الأعمال الشعرية، فيما خُصّص المطلب الأول لدراسة ألفاظ الطبيعة في شعر ابن هشام، وأُفرد المطلب الثاني لدراسة ألفاظ الخمرة والسكر، وتناول المطلب الثالث ألفاظ الغزل والمجون، فيما تناول المطلب الأخير ألفاظ الثناء، وقد أُعقبت هذه المطالب بخاتمة أجملت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم قائمة بالمصادر التي اتكأت عليها الدراسة.

مهاد ترجمي ونظري

أولا: مهاد ترجمي (إضاءة في ترجمة الشاعر ومكانته)

على الرغم من أنّ هذا الشاعر لا ينتمي إلى العصور الأدبية المتقدمة المتمثلة بالعصر الجاهلي، والعصر الإسلامي، والعصر الأموي لكونه من شعراء القرنين السادس والسابع الهجري بيد أنّه لا غرابة أن تأتي ترجمة

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

الشاعر ابن هشام القرطبي ترجمة مبسترة غير مستوفية لأخباره وتفاصيل حياته وأسرته؛ ومرد ذلك يعود إلى كون الشاعر لم يكن من الشخصيات الأدبية الأندلسية اللامعة مثل ابن زيدون، وابن عبد ربه، وابن خفاجة وغيرهم من مشاهير الشعر الأندلسي، فضلا عن احتمالية ضياع جزء من شعره وبعض الترجمات التي وضعت له مع ما ضاع المؤلفات والمصنفات الأندلسية جراء الأحداث المظلمة التي عصفت بالواقع الأندلسي. وعلى الرغم من ذلك فإن الدارس يجد في كتب التراجم والطبقات وكتب الأدب عبر ما وثقته من ترجمة قليلة، ونزر يسير من أخباره ما يهيئ له وضع ترجمة شبه وافيه لهذا الشاعر فيما اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.

وقد ذكرت المصادر ان اسم الشاعر هو عامر بن هشام عبد الله بن هشام بن سعيد بن عامر بن خلف بن مطرف بن محسن بن عبد الغافر بن مهدي بن عبد الواحد بن هشام[١].

أما فيما يخص لقبه فقد ذهبت معظم المصادر إلى أن ابن هشام كان يلقب بالقرطبي , وهذا اللقب كان الأكثر التصاقا به، وقد لحق به نسبة إلى مدينة قرطبة أشهر مدن الأندلس والتي ولد وعاش فيها[٢]. كما كان للشاعر ألقاب أخرى، إذ ذكر صاحب الذيل والتكملة أنه كان يلقب فضلا عن القرطبي بالأزدي والبياني[٣]، فأما لقب الأزدي فهي نسبة إلى قبيلة الأزد القحطانية العربية المشهورة التي تمتد أصولها إلى المشرق[٤]، وأما البياني فهي نسبة إلى مدينة بيانة إحدى مدن الأندلس[٥]. وقد عرف الشاعر كغيره من العرب الذين ألفوا مخاطبة بعضهم بالكنى بكنية ابن هشام بحسب، وهذا ما أوردته معظم المصادر التي ترجمت له[٦], كما كان يكنى بأبي القاسم[٧]، على الرغم من المصادر لم تذكر أن للشاعر ولداً بهذا الاسم، ويجدر بالذكر أن

(١) ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ٨٧/٣، الوافي بالوفيات: ٣٣٩/١٦, نفح الطيب من غصن الأندلسي الطيب: ٦٨/٢, تحفة القادم:٨١.

(٢) ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب :٦٨/٢، المغرب في حلى المغرب: ٣٩/١.

(٣) ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة: ٢٩/٤.

(٤) ينظر: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: ١ /١٥.

(٥) ينظر: معجم البلدان: ١/ ٦١٤.

(٦) ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة : ٨٧/٣، الوافي بالوفيات :٣٣٩/١٦.

(٧) ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة : ٨٧/٣ , تحفة القادم :٨١.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

للشاعر ابناً اسمه محمد غير أنه لم يُكنَ به[١]. وينتمي الشاعر إلى أحد عصور الأدب الأندلسي، وهو عصر الموحدين، إذ كانت وفاته سنة ٦٢٣هـ[٢].

وقد ذهب القدماء إلى أنّ ابن هشام كان شاعراً مفلقاً وكاتباً بارعاً. كما حكموا على شاعريته بأنهُ شاعر مطبوع سائر على نهج اسلافهِ الشعراء في نظم الشعر ايقاعاً وتصويراً ولغةً[٣], ومما يؤيد المكانة الأدبية التي تمتع بها ابن هشام نعت القدماء له بشيخ الأدب؛ فهذا لقب رفيع لا يطلق على شخصية أدبية إلا بعد أن تتحقق لدى تلك الشخصية معرفة واسعة بالأدب وقدرة على النظم والكتابة النثرية. كما أن القدماء أقرّوا بعلو طبقة ابن هشام في الأدب وأشادوا بشاعريته، وعلى الرغم من قلة شعرهِ الذي وصل إلى أيدينا إلا أنهم شهدوا له بأنّه كان كثيراً النظم[٤].

ثانيا: مهاد نظري (المعجم الشعري)

إنّ دراسة المعجم الشعري في شعر أي شاعر تعتمد على رصد الحقول اللفظية والعمل على كشف السر وراء هذا الإلحاح في توظيف الألفاظ ذاتها في أكثر من موضع في نتاجه الشعري، والتي لا شك في أنّها لا تشيع في مجموعه الشعري اعتباطاً وإنما تأتي انعكاسا لحالة يعيشها الشاعر ويتأثر بها، وهذه الحالة تميل به إلى جانب مادي أو فكري ينهل منه ألفاظا بما تحمله من دلالات تعكس براعة الشاعر ورشاقة أسلوبه.

فالمعجم الشعري في أبسط تعريفاته ((هو تلك المفردات النشطة التي يشكل منها الشاعر قصائده، والتي لا تفتأ تتكرر بشكل ملحوظ في إبداعه))[٥]. وقد حاول بعض الدارسين أنّ يضعوا تفسيرا لهذه الظاهرة السياقية إذ أشار الدكتور محمد مفتاح من ((أنّ تردد بعض الكلمات بصيغة مختلفة ذات دلالة واحدة لا بد من أنّ يؤشر دلالة معينة؛ فيكون المعجم المرشد إلى هوية النص))[٦]. ومما تجدر الإشارة اليه

(١) ينظر: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة : ٨٧/٣.
(٢) ينظر: التكملة لكتاب الصلة:٢٩/٤ ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: ٧٣٩/١٣.
(٣) ينظر: الوافي بالوفيات : ٣٩/١٦، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة : ٨٨/٣.
(٤) ينظر: المغرب في حلى المغرب : ٣٩/١, سير أعلام النبلاء: ٢٠٧/١٦.
(٥) بنية اللغة الشعرية:٩.
(٦) تحليل الخطاب الشعري– ستراتيجية التناص: ٥١.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

أنّ لكل شاعر معجما شعريا خاصا به، كما أنّ لكل شاعر نظرة خاصة في الألفاظ التي تصنع بمجموعها شبكة من العلاقات التركيبية التي من شأنها الإفصاح عن مكنونه الداخلي[١]، وهذا ما أشار اليه الجاحظ في قوله ((ولكلّ قوم ألفاظ حظيت عندهم... كلّ شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعيانها؛ ليديرها في كلامه، وإن كان واسع العلم غزير المعاني، كثير اللّفظ))[٢]. كما نبّه الجاحظ أيضا إلى أنّ الدقة في اللفظ وفق معايير سهولة المخرج، وكثرة الماء، وصحّة الطبع، ومتانة السبك هي التي تحقق القيمة الأدبية والإبداعية[٣].

إنّ دراسة المعجم الشعري تقوم على تفكيك بنية النص إلى وحدات معجمية لها نسب تكرار عالية، والنظر في دلالاتها للكشف عن مرادات الشاعر والوقوف على ما تحققه هذه الألفاظ من قيم جمالية[٤]، والشاعر على كل حال له ألفاظه الخاصة التي تعبر عن رؤاه، وأفكاره، وتصوراته، والتي تُشكل بمجموعها النسقي معجمه الشعري؛ ولذلك يلحظ القارئ تباينا واضحا بين النتاجات الشعرية على صعيد المعجم الشعري، وهذا أمر أشار إليه القاضي الجرجاني بقوله: ((يرقّ شعرُ أحدهم، ويصلُب شعرُ الآخر، ويسهل لفظُ أحدهم، ويتوعّر منطقُ غيره؛ وإنما ذلك بحسَبِ اختلاف الطبائع، وتركيب الخلْق))[٥].

ولعل القراءة الفاحصة لشعر ابن هشام تكشف عن أنّ ثمة ألفاظًا ارتبطت بحالة الشاعر النفسية وموضوعاته الشعرية التي نظم فيها، وهي (ألفاظ الطبيعة، وألفاظ الخمرة، وألفاظ الغزل، وألفاظ الثناء) فالألفاظ التي تندرج ضمن هذه الأغراض تكررت عند الشاعر بكثرة على مستوى القصيدة وعلى صعيد المجموع الشعري؛ وهذا ما يستدعي دراستها في هذا المقام.

(١) ينظر: جماليات اللغة الشعرية – دراسة في ديوان راشد عيسى: ١٦.
(٢) الحيوان، الجاحظ: ٣/١٧٤.
(٣) ينظر: المصدر نفسه : ٣/٦٧.
٥ ينظر: المعجم الشعري – بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعري بلند الحيدري أنموذجا: ١٦.
(٥) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

المطلب الأول : ألفاظ الطبيعة

من يقرأ الشعر العربي في عصوره المتقدمة يجد أنّ معظم صوره ومعانيه وألفاظه مستمدة من الطبيعة؛ لكونها الملهم الأول للشعراء، ولأنها الرافد الأول الذي يستمد منه الشعراء مشاهدهم الوصفية، فالشعر العربي في القرون المتقدمة يرجع معظمه كما أشار ابن رشيق إلى باب الوصف(١)، والوصف كما هو معلوم يقوم بالدرجة الأولى على تصوير مشاهد الحياة وأبعاد الطبيعة(٢)، ومعظم الشعراء شُغفوا بموجودات الطبيعة؛ فمضوا يوظفون ألفاظها لصنع صور شعرية يشبّهون فيها مرئياتهم، وممدوحيهم، ومحبوباتهم بالنجم، والسحاب، والنهر، والشمس، والقمر، والغصن وغير ذلك من جزئيات الطبيعة. وقد كان لهذا الجانب بُعد خاص عند شعراء الأندلس؛ لكونهم يعيشون في بيئة تمتاز بجمال الطبيعة، فالمروج الخضراء والأنهار، والأشجار، والأزهار، والوديان. ويعد الشاعر ابن هشام من جملة الشعراء الأندلسيين الذين يلمس القارئ حضورا كبيرا لألفاظ الطبيعة في شعرهم، وقد جاء توظيف هذا الشاعر لألفاظ الطبيعة متلائماً مع الدلالات التي أراد الشاعر ايصالها إلى الجمهور. ومن نصوصه الشعرية التي شحنها بألفاظ الطبيعة بائيته التي يقول فيها (٣): (الكامل)

يَسْـــرِي بأَفْـــقِ الغَيْـــبِ خـــاطرهُ ... عَجْـــلانَ مِثـــلَ الْـــبَرْقِ لا يَكْبُـــو

فـــإذا حبـــا وأجـــالُ فِكرتَـــهُ ... تَـــذْكُو الـــبُرُوقُ وَتَنْشَـــأُ السُّـــحْبُ

لقد وظّف الشاعر في معرض ثنائه على الممدوح ألفاظا استمدها من الطبيعة (أفق – البرق – السحب) ليرسم عبر هذه الألفاظ صورة مثالية للممدوح تعلق في الأذهان؛ حينما شبّه سرعة جولان خاطر الممدوح بسرعة البرق، وسداد رأيه وعمق فكرته وما فيهما من الخير العميم بمشهد تراكم السحب ولمعان

(١) ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ٢/٢٥٤.
(٢) ينظر: الوصف في الشعر العربي: ٤٢.
(٣) شعر ابن هشام القرطبي: ٤٣٧.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

البروق فيها، وقد جاءت هذه الألفاظ مناسبة لمراد الشاعر؛ لما تحمله من دلالات التعظيم، فهي تدل بمعانيها المعجمية على ظواهر كونية عظيمة.

ومن شعره الذي سجّلت ألفاظ الطبيعة فيه حضورا لافتا للنظر أبياته التي وصف بها نور الكتان، وهو أحد أنّواع الزهور التي كثرت في بقاع الأندلس والتي يقول فيها [١]: (مجزوء الرمل)

نَـوَّر الكِتَّـان نُـوْرًا قَـدْ شَـفَى مِـنْ بُرَحَـاء

خِلْتُـهُ لَمَّـا تَبَـد لاَبِسًـا ثَـوْبَ سَمَـاء

نقطـا مِـنْ لَازَوَرْدٍ تَحْتَهَـا طُحْلُـبُ مَـاء

فألفاظ الطبيعة واضحة بجلاء في هذا النص، فمنظر نور الكتان الذي يعدّ من أجمل أنواع الزهور التي تزيّنت بها طبيعة الأندلس سحر الشاعر بجماله؛ فراح يصوره في شعره، معتمدا مجموعة من ألفاظ الطبيعة، والتي شكلت بدورها لوحة رائعة تحاكي منظر من الطبيعة المصور؛ ولأنّ النص جاء في وصف الطبيعة الأندلسي كان من البديهي أنّ تثبت ألفاظ الطبيعة حضورها فيه، إذ تمثّلت بـ (نور، الكتان، سماء، لازورد، طحلب، ماء).

ويبدو أنّ الشاعر ابن هشام كان مولعا بالكون والفضاء وأسراره، وهذا ما جعل كثير من ألفاظ الكون والفضاء تتردّد في نصوصه الشعرية مثل (النجوم، والسماء، والبدر، والليل، والريح وغيرها)، من ذلك قوله [٢]: (الطويل)

تَطُـوْفُ بِهَـا فَتَّانَـةُ اللَّحْـظِ طَفْلَـةٌ فَتَـاةٌ تَـرَى مِنْهَـا عَلَـى الوَرْدِ مَبْسَمًا

تَـرَى البَـدْرَ منهـا في دُجُنَـةِ شَـعْرِهَا يُـرَى في سَـمَاءِ النَّحْـرِ لِلْحَلْـيَ أنْجُمَـا

(١) شعر ابن هشام القرطبي: ٤٣٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤١.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

لقد رسم الشاعر صورة في غاية الجمال للفتاة التي راح يتغزل بها عبر توظيف عناصر الطبيعة المتمثّلة بـ (الورد، والبدر، والدجنة، والسماء، والنجم)، وقد كان لاستحضار هذه الألفاظ دور كبير في إضفاء جمالية مثالية للمرأة الموصوفة لما لها من دلالات جمالية راسخة في ذهن الانسان عبر انطباعات الطبيعة.

ومن أبيات ابن هشام التي يلمس فيها المتلقي ملامح الطبيعة قوله[١]: (الكامل)

بَانُـــوْا فَأَكْثَـــبَ كُـــلُّ شَـــوْقِ نَازِحٍ ... لِمُشَـــيَّعِيْ الأَقْمَـــارِ فَـــوْقَ البَـــانِ

واللَّيْـــلُ اعمـــى والنُّجُـــومِ كَأَنَّهُـــا ... مـــــثَقَلٌ مُحَدّقَـــةٌ بَـــلا أَجفـــانِ

عَانَقْـــتُ فِيهَـــا البَـــدرَ وَافَـــقَ سَـــعْدَهُ ... وَالشَّـــهِبُ مِـــنْ حَسَـــدٍ إلى رَوَّانِ[٢]

والـــريح تَعْمَـــلُ في حَوَاشِـــي بُـــرْدْنَا ... مَـــسَّ الشَّـــفِيقَ وَجَذَبَـــةُ الغـــيرَانِ

يلحظ القارئ أنّ المشهد المصوّر في هذا النص قام على أساس استحضار مشاهد كونية مألوفة لدى الجمهور نهض النص بتصويرها في هذه المقدمة الافتتاحية (النسيب) عبر دلالات ألفاظ الطبيعة المستحضرة، والتي تمثّلت بـ (القمر، والبان، والليل، والنجوم، والبدر، والشهب، والروان، والريح)، وهذه الألفاظ تُشعر المتلقي بخلو المكان بفعل الاستحواذ فالشاعر لم يرصد في المكان إلا الفضاء عبر هذه العناصر الكونية مما يبعث الأسى في أجواء النص.

كما وظّف الشاعر ابن هشام ألفاظ الطبيعة في أبيات شعرية ماجنة تغزّل فيها بغلام وسيم قال فيها[٣]: (الكامل)

سَوْسَـــــانُ أَنْمُلِـــــهِ تَنَـــــاوَلَ وَرْدَةً ... وغَـــــدَا يُمَزِّقُهَـــــا أَقَـــــاحِيْ فِيْـــــه

(١) شعر ابن هشام القرطبي : ٤٦١

(٢) الروان : الزهرة البحرية، هكذا فسرها محقق الديوان، ولم أجد هذا المعنى للفظة في المعاجم العربية ولا غيره. ينظر: المصدر نفسه : ٤٨١.

(٣) المصدر نفسه : ٤٦١.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

لقد أظهر ابن هشام هذا الغلام بهيأة استمد ملامحها من عناصر الطبيعة؛ ليبدي جماله الفائق، إذ وظف ثلاث أنواع من الأزهار وهي (السوسن، والورد، والأقاحي) في سلسلة من الحركات المشهدية التي بدأت بتناول الوردة بأصابع كأنها زهر السوسن ومن ثم عضّها بالثغر الذي ترآى كأنه زهر الأقاحي.

المطلب الثاني : ألفاظ الخمرة والسكر

تركت الخمرة أثراً كبيرا في نفوس الشعراء لكونها ظاهرة اجتماعية شاعت في المجتمعات المتقدمة ولا سيما في المجتمع الأندلسي، وقد وجدت هذه الظاهرة طريقها إلى النتاج الشعري عبر توظيف ألفاظ الخمرة التي تمارس دورها في تصوير الخمرة، وأنواعها، وألوانها، ومذاقها، وكؤوسها، ودنانها، ومجالسها، وسقاتها وما إلى ذلك، وقد سجلت ألفاظ السكر والخمرة حضورا لافتا للنظر في شعر ابن هشام القرطبي الذي كان يكثر من شرب الخمرة على الرغم من معرفته بذنبها[١]، وليس هذا بالأمر الجديد في الشعر، فقد عرف الأدب العربي في الشعر المشرقي والأندلسي هذا التوجه الموضوعي قبل ابن هشام[٢]، وربما وقف القلق النفسي الذي أصيب به كثير من شعراء الأندلس خلف ميل هؤلاء الشعراء ومنهم ابن هشام القرطبي إلى شرب الخمرة، واللهو، والرقص، والموسيقى، والمجون؛ مما جعلها تنعكس في نتاجاتهم الشعرية[٣]. ومن النصوص الذي صرّح فيه ابن هشام بلفظ السكر والخمرة أبياته التي يقول فيه[٤]: (الطويل)

أَقُـوْلُ وقَـدْ أوْرَدْتُ نَفْسِـيْ مَـوَرِدًا أَبَحتُ بِهِ مَا شَاءَهُ السُّكرُ مِنْ عِرْضِيْ

وقَدْ صِرْتُ سَدًّا بِالطَّرِيْقِ لِسَائِلٍ مِنِ القَطْرِ إِذْ لاَ بُسْطَ تَحْتِي سِوَى الأَرْضِ

لقد وظّف الشاعر لفظة (السكر) في هذا النص الشعري؛ ليعبّر عن حالة السكر وفقدان التوازن التي وصل إليها بسبب إكثاره من شرب الخمر التي ذهبت بعقله وأطاحت بتوازنه حتى جعلته لا يجد حرجا في

(١) ينظر: شعر ابن هشام القرطبي :٤٤٣

(٢) ينظر: فن الشعر الخمري وتطوره في الشعر العربي: ١٦٧ – ١٦٨.

(٣) ينظر: تاريخ الأدب الأندلسي: ٤٠

(٤) شعر ابن هشام القرطبي: ٤٤٦.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

النوم في الطرقات مفترشا الأرض تحت وابل المطر، وهنا يلحظ القارئ أنّ لفظة سُكر بما تحمله من بعد دلالي كانت ركيزة أساسية في تصوير هذا المشهد. ومن نصوصه الشعرية الأخرى التي سجلت فيها ألفاظ الخمرة حضورا واسع الطيف قافيته التي يقول فيها[1]: (المتقارب)

صِـلُوْا بِالْمُدَامَـةِ مُشْتَاقَهَـا ... ووَالُـــوْا الكُـــؤُوْسَ وإدْهَاقَهَـــا

وَنَهْـرٍ شَـرِبْتَ عَلَـى جَدْبِـهِ ... مُـدَامًا تُطَـرِّبُ مَـنْ ذَاقَـهَا

جَـزِعْتَ لِمَـا سَـاءَ مِـنْ خُلْقِهَـا ... فَـحَسَّنْتُ بِالمَـزْجِ أَخْلاقَهَـا

هـــي النـــار في الكـــأس مشـــبوبة ... وقـــد أمـــن الشـــرب أحراقهـــا

شمـــوس مغاربهـــا في الشفـــا ... وتضـــحي الزجاجـــات افاقهـــا

وكيـــف تضـــر ســـموم الهمـــو ... م مـــن جعـــل الـــراح ترياقهـــا

وليـــل جلـــوت دياجيـــره ... بصـــفراء تنفـــذ أرماقـهـــا

فمن يقرأ هذه الأبيات يجدها قد احتشدت بألفاظ الخمرة (صلوا، المدام، والوا، الكؤوس، إدهاق، شربت، مداما، تطرب، مزج، ذاقها، الكأس، الشرب، شموس، الشفا، الزجاجات، الراح، ترياق، صفراء، أرماق) وقد استطاعت هذه الألفاظ عبر تواليها في النص باتساق دلالي أن تصور لنا مشهد السكر في ذلك المجلس بتقنية سردية حافظ فيها الشاعر على حضور الوصف للخمرة التي تعد الركيزة الأساسية للقصيدة، فقد استهل النص بالفعلين (صلوا، ووالوا) ليشعر القارئ بتواصل الحركة والسكر والمرح والترنح وإدهاق الخمرة في الكؤوس في ذلك المجلس عبر دلالة المواصلة والموالاة، لينتهي المشهد باشتداد ظلمة الليل الذي أدرك الشاعر ومن معه في ذلك المجلس والذي أجلى ظلمته شعاع الخمرة المتوهج (صفراء)، وما بين هاتين

(١) المصدر نفسه: ٤٤٩

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

البؤرتين الزمنيتين عمد الشاعر عبر دلالات الألفاظ التي ذكرناها إلى تصوير لون الخمرة، وطعمها، ومذاقها، وحدّتها، ومزجها بالماء، وفعلها بشرّابها، وكؤوسها، وزجاجاتها وما إلى ذلك.

ولم يكتفِ الشاعر ابن هشام بتوظيف ألفاظ الخمرة في نصوصه الخمرية بل راح يوظفها في نصوص شعرية نُظمت في موضوعات أخرى، وهو ما يجده القارئ في نونيته المشهورة التي كتبها في وصف مدينة قرطبة إذ يقول[١]: (البسيط)

خِلْتُ الشِّمَالَ شَمُوْلاً إِذْ سَكَرْتُ بِهَا ... سُكْرًا بِمَا لَسْتُ أَرْجُوْهُ يُمَنِّيْنِيْ

لِبَابِ عَبْدٍ سَقَتْهُ السُّحْبُ وَابِلُهَا ... فَلَمْ يَزَلْ بِكُؤُوْسِ الأُنْسِ يَسْقِيْنِيْ

فهذه الأبيات جاءت في غرض الوصف غير إنّ الشاعر استند إلى ألفاظ الخمرة والسكر (شمولاً، سكرت، سكرا، سقته، كؤوس، الأنس، يسقيني) أكثر من استناده إلى ألفاظ الوصف، وهذا الحضور يكشف عن ولع الشاعر بالخمرة من جانب، ويوصل للمتلقي فعل أجواء قرطبة وريحها وأمطارها بساكنيها، فهي بلطفها وجمالها غدت تسكرهم وتذهب بعقولهم وأرواحهم صوب المرح والسرور والنشوة. كما سجلت ألفاظ الخمرة حضورها في نصوص المجون وهذه ما يلمسه المتلقي في قوله[٢]: (مجزوء الكامل)

أنظُـرْ إِلَيْـهِ فَإِنَّـــهُ ... صَـافِيْ الحَشَـا عَـذْبُ الَمُجَاجَـهْ

تَحكِـيْ مَوَاقِـعُ مَائِـــه ... سَـكْبَ المُـدَامِ مِـنَ الزُّجَاجَــهْ

فهذه الأبيات الشعرية نظمها الشاعر في وصف غلامٍ مضى يتغزل به في إطار شعر الغزل الماجن، ولعله لم يجد في هذا الوصف معادلا تشبيهيا خيرا من الخمرة ومنظر صفائها حين سكبها من زجاجتها في كؤوسها؛ وهذا ما جعله يستحضر مجموعة من ألفاظ الخمر والتي تمثّلت بـ (صافي، المجاجة، عذب، سكب، المدام، الزجاجة) بما تحمله من دلالات لتصوير جمال ذلك الغلام.

(١) شعر ابن هشام القرطبي:٤٦٣.

(٢) شعر ابن هشام القرطبي : ٤٣٩.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

كما تحضر ألفاظ الخمرة في المقدمات الافتتاحية التي حاكي فيها الشاعر ابن هشام أسلافه الشعراء والتي يقول في إحداها[١]: (الطويل)

خَلِيْلَيَّ هَذَا يُوْمُ رَاحٍ وَرَاحَةٍ ... فَقُوْمَا اعْصيَا مَنْ لاَمَ أَوْ مَنْ تَلَوَّمَا

ولاَ تَشْرَبَا إلاَّ فُوَيْقَ زَبَرْجَدٍ ... تَرَى جَوْهَرَ الأَنْدَاء فيه منظما

ولاَ تُمْسِكَاهَا عَنْ يَدِيْ وهْيَ مُسْكَةٌ ... ولاَ تَحْسَبُوْا أَكْوَاسَهَا عَذْبَةَ اللَّمَى

فَمَا بَالُ هَذَا الرَّاحِ نَقَّبَ حُسْنَهَا ... حَبَابٌ فَأَضْحَى عَنْ عِيَانِيْ مُكْتَمَا

إذا الكَأْسُ شَفَّتْ عَنْ مَحَاسِنِ وَجْهِهَا ... فَلَسْتُ أُبَالِيْ وَجْهَهَا أنّ تَلَثَّمَا

لقد عمد الشاعر إلى افتتاح قصيدته بمقدمة خمرية أثبتت فيها ألفاظ الخمرة ومتعلقاتها حضورا لافتا للنظر (راح، راحة، اعصيا، تشربا، مسكة، أكواسها، عذبة، الراح، حباب، الكأس)، وقد ارتبطت دلالة هذه الألفاظ بالموروث الشعري المتمثّل بمخاطبة المثنى من الخلان وهو عرف شعري معروف في الأدب العربي غير أنه راح يدعوهم إلى السكر بدل الوقوف على الطلل أو المرور به كما ألف القارئ في الشعر العربي القديم.

المطلب الثالث : ألفاظ الغزل والمجون

لا غرابة أنّ تسجل ألفاظ الغزل حضورا واسعا في شعر ابن هشام أو أي شاعر عربي لكون الغزل يعبر عن عاطفة الإنسان ومشاعره دون تصنّع[٢]، فضلا عن ارتباط الغزل بأغراض الشعر الأخرى وتداخله معها عبر المقدمة الافتتاحية[٣].

(١) المصدر نفسه : ٤٥٨.

(٢) ينظر: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري: ٥٠٠.

(٣) ينظر تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والأمارات: ١٩٩.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

وقد شاعت في ديوان ابن هشام مجموعة من ألفاظ الغزل الحسي التي تدل على تجاربه العاطفية العابثة، ولا سيما بعدما أتخذ مساراً آخر يمثل الحياة اللاهية والتمتع بملذاتها، وقد ذكرنا في التمهيد أنّ الشاعر عُرف بغزله الماجن، وهو ما يجده القارئ في أبياته التي تغزّل فيها بشجة لاحت في خد محبوبه [١]: (الخفيف)

وأَغَرُّ تَشْبِيْهِ الشَّبِيْبَةُ خُوْطَـةٌ ... تَرَفًا وتَسْحَبُ ثَوْبَهُ أَذْيَـالا

سَفَرَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ عَنْ شَجَّةٍ ... نُوْنِيَّةٍ حَشَتِ الحَشَا بِلْبَـالا

عَنَتْ كَإِحْدَى حَاجِبِيْهِ تَقَوّسَـا ... بيضاء راقت في العُيُوْنِ جَمَالا

فَتَأَمَّلُوْهَا آيَةً بِدْعِيَّـةً ... قمرا جـلا في صفحتيه هـلالا

فالقارئ يلحظ جليّا حضور ألفاظ الغزل في هذا النص، اذ شكلت حقلا دلاليا لتتعاضد مع الأوصاف التشبيهية التي وظفت لخدمة موضوع الغزل؛ لتُكسب النص الشعري بمجموعها رقّةً وعاطفة، وقد تمثّلت ألفاظ الغزل ومؤازرتها التشبيهية بـ (أغر، الشبيبة، خوطة، ترفا، ثوبه، محاسن، وجه، شجة، نونية، الحشا، حاجبيه، تقوسا، بيضاء، العيون، جمالا، آية، بدعية، قمر، صفحة، هلالا) فكل هذه الألفاظ المشحونة بدلالات غزلية متنوعة وظفها الشاعر في تشكيل صورة التي لمحها في خد محبوبه، وقد أدى انصهار تلك الألفاظ ببعضها أدى إلى خلق جو مشحون بالعاطفة المنحرفة إلى المجون والعبث.

ومما جاء من غزله الحسي الذي مضى يصوّر فيه مفاتن المرأة وما يترتب عليه من الرغبات والملذات، والليالي التي قضاها مع النساء وذكر ما يدور بينهم قصيدته التي تحدث فيها عن ليلة قضاها في وصال معشوقته والتي يقول فيها [٢]: (الكامل)

ومَرِيْضَـةِ الأَلْحَـاظِ تَفْتِـكُ بِالحِجَا ... أَبَـــدًا وتَلْعَـــبُ بِالرَّجَـــا واليَـــاسِ

(١) شعر ابن هشام القرطبي : ٤٤٣.

(٢) شعر ابن هشام القرطبي: ٤٤٤ – ٤٤٥.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

طَـرَقَتْ وشَمْلَـةُ لَيْلِنَـا قَـدْ أُلْبِسَـتْ ... والنُّـوْمُ خَانَـهُ أَعْـيُنُ الحُـرَّاسِ

فِيْ لَيْلَـةٍ خَضْـرَاءَ يَعْبَـقُ نَفْحُـهَا ... فَكَأَنَّهَـا هِـيَ دَوْحَـةٌ مِـنْ آسِ

ثَقَفِيَّـةٌ فِيْ قَوْمِهَـا عَرَبِيَّـــةٌ ... نَظَرَاتُهَـا تُنْمَـى إلى أَشْنَـــاسِ

نَـاهَبْتُهَا دُرَرَ الحَـدِيْثِ وبَيْنَنَـــا ... لَـثْمٌ يُعِـيْنُ عَلَـى ارْتِضَـاعِ الكَـاسِ

حَتَّى خَشِـيْتُ هُجُوْمَ فَجْرٍ صَادِقٍ ... يَسْـطُوْ فَيَقْطِـفُ زَهْـرَةَ النِّبْـرَاسِ

وتَبَرْقَعَـتْ سِـنَةُ النُّعَـاسِ تَعِلَّـةً ... حَظِّـيْ السُّـهَادُ ولاَتَ حِـيْنَ نُعَـاسِ

إنّ من ينعم النظر في هذا النص يجد أن ألفاظ الغزل المادي العابث الدالة على المرأة المتغزّل بها المبثوثة في النص (مريضة الألحاظ، قوامها، أعين، الحراس، نظراتها، لثم، السهاد) لم تنفرد بتصوير المشهد الدرامي في هذا النص وإنما استدعت ألفاظا تنتمي لحقول أخرى والمتمثّلة بألفاظ الطبيعة (ليلة، نفح، دوحة، آس، فجر، زهرة، يقطف)، وألفاظ الخمرة والسكر(ارتضاع، الكاس، النعاس)، ألفاظ الحركة والمتمثّلة بالأفعال الماضية والمضارعة (تلعب، طرقت، ألبست، خانه، يعبق، تنمى، ناهبتها، خشيت، يسطو، يقطف، تبرقعت)، وهذه الألفاظ تحولت من دلالاتها المعجمية إلى دلالات تصب في مضمون الغزل الماجن عبر فاعلية السياق الشعري ليتشكل المضمون الشعري بأبعاد مشهدية مليئة بالحركة والحيوية.

ومن غزله الحسي الذي توسط بين الوصف الحسي لجمال المرأة الخارجي البعيد عن المجون، وبين ذكر أحداث تجارب العشق وما يقع فيها من الوصال، والتمنّع، والعذاب ما جاء في قوله[1]: (الطويل)

تَطُوْفُ بِهَا فَتَّانَـةُ اللَّحْظِ طَفْلَـــةٌ ... فَتَاةٌ تَـرَى مِنْهَـا عَلَـى الوَرْدِ مَبْسَـمًا

إذا مَـا أَرَادَتْ أنّ تُوَشِّـحُ خَصْـرَهَا ... تُعَطِّـلُ سَـاقًا أَوْ تُجَـرِّدُ مِعْصَمَـــا

(١) شعر ابن هشام القرطبي: ٤٥٩.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

أَقُـوْلُ عَسَـاهَا أنّ تَلَـيْنَ لِصَبِّهَـــا بِمَا يَشْتَكِيْ مِنْ هَوَاهَا ومَا وَمَـا

أَمَا يَا فَتَاةُ الحَيِّ عِنْدَكِ رِقَّـــةٌ علـى الـدَّنِف المغلـوب في صـبره أمـا

صِلِيْنِيْ لِمَ أُبْقَيْ عَلَيْكِ الهَـوَى وزُوْرِيْ فُـؤَادًا كَـادَ يَقْتُلُهُ الظَّمَـا

وكَيْفَ حَلَلْتِ القَلْبَ يَا ابْنَةَ مَالِكٍ وقَبْلُ حَشَاهُ نَاظِرُ الطَّرْفِ أَسْهُمَا

فالمتن اللغوي لهذا النص الغزلي مستند على حقلين دلاليين، الأول منهما حقل ألفاظ الغزل المادي المتحفّظ الذي لا يخدش الحياء والمرتبط بأوصاف المرأة، وقد تمثّلت ألفاظه بـ (فتانة، اللحظ، طفلة، الورد، مبسما، توشح، خصرها، ساقا، تجرد، معصما، ناظر، الطرف) أما الحقل الآخر فهو حقل ألفاظ تجارب العشق وما تنطوي عليه من الحب والوصال والصرم والشكوى وما إلى ذلك، وقد تمثّل بالألفاظ (تلين، صبها، يشتكي، هواها، رقة، الدنف، المغلوب، الظما، القلب، حشاه، أسهما)، وفي ائتلاف هذين الحقلين نتج لنا نص غزلي أوضح لنا مشاعر الشاعر التي فاضت بالحب والولع والشكوى من حرمان الوصل، فألفاظ الوصف الغزلي المادي أظهرت للقارئ امرأة بارعة الجمال يحرق قلب من يُحرم منها، وهو المضمون الذي اشتغلت عليه ألفاظ الحقل الثاني.

وقد تكون مقدمة النسيب هي الباعث خلف حضور ألفاظ الغزل في النص الشعري، وهو أمر يستشف من قول ابن رشيق القيرواني أنّ ((للشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب؛ لما فيه من عطف القلوب، واستدعاء القبول بحسب ما في الطباع من حب الغزل، والميل إلى اللهو والنساء))[١]. ومن قصائد ابن هشام التي افتتحت بالنسيب، فأدى ذلك إلى احتشاد هذه الجزئية بألفاظ الغزل، نونيته التي قال فيها[٢]: (الكامل)

هَـلْ نَارُ لُبْنَى مَـا عَلَى لُبْنَـانِ أَمْ تِيْـكَ بَانَـتْ فُوَيْـقَ أَبَـــانُ

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ١\١٨٧.

(٢)شعر ابن هشام القرطبي :٤٦٠ – ٤٦١.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

بَـانُوْا فَأَكْثَـبَ كُـلُّ شَـوْقٍ نَازِحٍ لِمُشَـيَّعِيْ الأَقْمَـارِ فَـوْقَ البَـانِ

فَوَقَفْـتُ بِالطَّلَـلِ المُحِيْـلِ وإِنَّمَـا رَبْـعٌ عَفَـا ومُتَـيَّمٌ سِيَّـــانُ

مِـنْ وَصْـلِهِمْ تِلْـكَ الوُجُـوْهِ وإِنَّمَـا خُلِقَـتْ ضَـفَائِرُهُمْ مِـنَ الهِجْـرَانِ

فهذه المقدمة الافتتاحية التي تصنّف ضمن النسيب – وهو أحد أنواع الغزل في الشعر العربي – ما هي إلّا عرف اجتماعي توارثه الشعراء جيل عن جيل، وعلى الرغم من كونها على الأغلب متصنّعة غير أنها تنبض بالأحاسيس والمشاعر الجياشة المليئة بالحزن؛ وما ذلك إلا بفعل حضور ألفاظ النسيب الغزلية الموغلة في الأسى، وهي الألفاظ (نار، بانت، بانوا، شوق، نازح، مشيعي، الطلل، المحيل، ربع، عفا، متيم، الهجران) فالقارئ حال مروره بهذه الألفاظ ستنساب دون شك تلك الأحاسيس الشجية التي تحملها إلى قلبه.

المطلب الرابع : ألفاظ الثناء

الثناء هو مجموعة الأوصاف والمعاني والألفاظ النبيلة التي يسبغها الشعراء على الممدوح في قصائد المديح ؛لأن المديح أساسا يتحقق في الشعر وغيره من الكلام عبر ذكر المزايا الفاضلة، والتغني بالشمائل الكريمة، وإظهار الممدوح وبأبهى صورة وأعظم مكانة[١]، وبحسب ما وصل الينا من شعر ابن هشام، فإن شعر المديح يمثل النصيب الأوفر من هذا الشعر؛ ولذلك لا غرابة أنّ نجد حضورا واسعا لألفاظ الثناء في هذا النتاج الشعري.

ومن نصوص ابن هشام التي سجلت فيها ألفاظ الثناء حضورا ملفتا للنظر في مدح أحد الشعراء الموحدين قوله[٢]: (الرمل)

لِلْمَلِيْـــكِ ابْـــنِ الهُمَـــامِ المُرْتَضَـــى مُنْشِـــرِ الـــدِّيْنِ وَ قَـــدْ كَـــانَ لَقَـــى

(١) ينظر: فن المديح وتطوره في الشعر العربي : ٥.

(٢) شعر ابن هشام القرطبي : ٤٢٦.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

خَـــيْرُ مَـــنْ حَـــاطَ الرَّعَـــايَا رَافِقًـــا طَـــوْرًا وَ طَـــوْرًا مُرْفَقَـــا

خَيرُ مَنْ قَادَ إِلَى يَوْمِ الوَغَى فَيْلَقًا يَتْبَعُ مِنْهُ فَيْلَقَا

قَبَسِـــيْ الـــذِّهْنِ لَـــوْلا ثِقَـــتِيْ بِنَـــدَاهُ خِفْـــتُ أَنْ يَحْتَرِقَـــا

فهذا الأبيات الشعرية لم يتأتَ للشاعر إظهار ممدوحه بهذه الصورة المثالية إلا عبر نعته بفضائل تميّزه عن بقية البشر؛ وهذا الغاية استلزمت استحضار مجموعة من ألفاظ الثناء تصنع باجتماعها في سياق شعري متقن لوحة مدحية قادرة على إبهار المتلقي، وقد تمثّلت ألفاظ الثناء بـ (مليك، الهمام، المرتضى، منشر الدين، خير، الرعايا، رافقا، مرفقا، قاد، قبسي، ثقتي، ندى). فهذه الألفاظ هي التي أنتجت المضمون الشعري عبر تجاورها في السياق الشعري. ويميل الشاعر ابن هشام أحيانا إلى توظيف ألفاظ الثناء المعرفية في مضامينه المدحي، وهذا ما يلمسه القارئ في قوله[1]: (مجزوء الرمل)

الفَقِيْـهُ ابْـنُ نُصَيـــرٍ خَطُّـهُ خَـطٌّ نَبِيْـــلُ

أَلِفَـــاتٌ كَرِمَـــاحٍ بَيْنَهَـا المَعْـنَى قَتِيـــلُ

لقد شرع الشاعر في الإطراء على ممدوحه في هذا النص الشعر عبر استحضار ألفاظ ثناء ذات دلالات دينية ومعرفية وعلمية (الفقيه، خط، نبيل، ألفات، رماح، المعنى) فاستحضار الشاعر للفظة الفقيه اشتغل على رفع مكانة الممدوح على المستوى الديني ولا سيما بعدما جعلها صفة متوارثة عبر تكرارها (ابن الفقيه)، ثم لم يلبث أن عضد هذا النعت بألفاظ (خط، نبيل، ألفات، رماح، المعنى) لها دلالات معرفية وعلمية واجتماعية سامية حظي بها الكتاب في العصور المتقدمة ليضفي على شخصية الممدوح صفة الثقافة والمعرفة؛ وهذا يؤدي بالمحصلة إل تعظيم شأنه في ذهن المتلقي.

(١) شعر ابن هشام القرطبي: ٤٥١.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

ويعمد الشاعر في بعض نصوصه إلى منح ممدوحة صفات ومثل وقيم سامية طالما تعلق بها العرب؛ ليمنح تلك النصوص جمالا مضمونيا؛ وهذا ما يقرّبها إلى نفس القارئ، من ذلك أبياته الشعرية التي يقول فيها[١] : (الطويل)

نَـدَاكَ إذا ضَـنَّ الغَمَـامُ سَمَـــاءُ ... ووَجْهِـكَ فِيْ لَيْـلِ الخُطُـوْبِ ضِيَـاءُ

تُنَالُ بِكَ الآمَالُ فِيْ كُـلِّ حَالَــةٍ ... ومَـا شَـاءَه العَـافِيْ فـذاكَ تشـــاءُ

تَعَوَّدْتَ بَسْطَ الوَجْهِ والكَفِّ مُنْعِما ... فَلَيْسَ مِنَ الحَمْدِ الجَزِيْلِ كَفَـــاءُ

ومَا زِلْتَ مَيْمُوْنُ النَقِيْبَةِ هَادِيـا ... إلى كُـلِّ مَـا فِيْـهِ هُـدًى وشِفَـــاءُ

دَعَـا مِنْـكَ وَضَّـاحُ المُحَيَّا كَأَنَّمَـا ... عِمَامَتُـهُ إِذْ يُسْـتَبَانُ لِـــوَاءُ

فمن ينعم النظر في هذا النص يجد نفسه وبشكل لا إرادي للمضمون والمعاني التي يحملها، فهي معانٍ سامية طالما تغنت بها العرب في أشعارها، وهذه المعاني الشعرية والمضمون المدحي الذي أداه النص لرفع شأن الممدوح تحقق عبر ألفاظ الثناء (نداك، الغمام، وجه، ضياء، الآمال، تشاء، بسط الوجه، بسط الكف، منعما، الحمد، الجزيل، كفاء، ميمون، النقيبة، هاديا، وضاح المحيا، عمامة، لواء). فهذه الألفاظ حققت في الممدوح مجتمعةً صفات عدة تمثّلت بالكرم، والوضاءة، والقدرة، والنجابة، والقدرة، والملاذ، وطلاقة المحيا، والسخاء، والبركة، والفأل الحسن، والتدبير، والقوة. ويكثر حضور ألفاظ الثناء في القصائد المدحية التي توجّه بها ابن هشام إلى ملوك الدولة الموحّدية ورجالها، من ذلك ما جاء في بائيته إذ يقول[٢]: (الكامل)

وفَـوَارِسٌ خَشُـنَتْ عَـرَائِكُهُمْ ... شَـابُوْا عَلَـى حَـرْبٍ كَمَـا شَبُّـوْا

(١) المصدر نفسه :٤٣٤.

(٢) شعر ابن هشام القرطبي :٤٣٦.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

شُـمُّ تَطُـوْلُ أنـوْفُهُمْ غَضَبًـا مَهمَـا اسـتُثِيرَ الطَّعْـنُ والضَّـرْبُ
مِـنْ عُصْـبَةٍ كَرُمَـتْ شَمَـائِلُهُمْ مَـا مِنـــهُمُ إلا فَـتًى نَـدْبُ
آرَاؤُهُـــمْ غُـــرٌّ وأَوْجُـــهُهُمْ وَسْـطَ النَّـدِيِّ مِـنَ الحَيَـا صُـهْبُ
سَـادُوْا وسَـدُّوْا كُـلَّ مَخْمَصَـةٍ ومَـعَ الأَكَـارِمِ يُـلْأَمُ الشَّـعْب

إنّ من يقرأ هذ النص ويقف على معانيه المدحية يشعر بأنّه إزاء نص جاهلي ينبض بالحمية القبلية الـتي يتغـنى قائلهـا ببسـالة فرسـان القبيلـة، وشـجاعتهم، وشـدّة بأسـهم؛ والـتي أراد مـن خلالهـا أن يوصـل للجمهور قوة الدولة الموحدية، وضراوة فرسانها وشجاعتهم، وتمرسهم في الحروب التي شبّوا عليها وشابوا، وشدة حميتهم على دولة العرب والمسلمين، وتعاظم سيادتهم وسلطانهم، وسداد رأيهم وحنكتهم في سياسة الدولة، وقد حقق الشاعر ذلك كلّه عبر ألفاظ الثناء الواردة في ثنايا النص (فوارس، عرائكهم، شابوا، الحرب، شبّوا، شم طول الأنوف، غضبا، الطعن، الضرب، عصبة، شمائلهم، فتى، ندب، غُرّ، أوجههم، الندى، الحيا، صهب، سادوا، سدوا، الأكارم).

ومما تقدم ذكره يتضح للقارئ أنّ ثمة حقول معجمية أثبتت حضورها في شعر ابن هشام القرطبي وقد وقفت الدراسة على الحقول الأكثر هيمنة على لغة الشاعر والتي تمثّلت بـ(ألفاظ الطبيعة، ألفاظ الخمرة والسكر، ألفاظ الغزل والمجون، ألفاظ الثناء.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

الخاتمة:

تمثّلت النتائج التي توصل إليها البحث بالتالي:

١ – كان لطبيعة الأندلس أثر كبير على نفسية ابن هشام القرطبي، وهذا التأثير انعكس على شعره عبر شيوع ألفاظ الطبيعة في هذا النتاج الشعري.

٢ – الشعر انعكاس لغوي وتصويري للذات الشاعرة وما تتصف به من مُثل، وأخلاق، وقيم، وسلوكيات اجتماعية، ولذلك كان من البديهي أن تشيع ألفاظ الخمرة والسكر؛ لما عُرف عنه من ولع بشرب الخمرة والسكر.

٣ – لم تكشف النصوص الشعرية الغزلية التي نظمها ابن هشام عن محبوبة معينة؛ وعلى الأرجح أنّ مرد ذلك يعود إلى تجاربه العابثة مع النساء والتي غالبا ما تقترن مع أوقات السكر واللهو، فضلا عن مجونه وشذوذه الأخلاقي مع الغلمان؛ وكل ذلك كان عاملا لشيوع ألفاظ الغزل الماجن في شعره، على أن ألفاظ الغزل المتحفظ كانت حاضرة في شعره.

٤ – يقف خلف شيوع ألفاظ الخمرة الثناء ألفاظ عدة، منها ولاؤه لدولته الأندلسية والقائمين على إدارتها، وقربه من بلاطات السلطة لكونه من طبقة الشعراء، فضلا عن حاجته الماسة لعطاء الممدوحين.

٥ – انتماء الشاعر إلى دولة الموحدين التي عُرفت بقوة سلطانها واستقرارها من الداخل انعكس على مضامين شعر ابن هشام، ومن ثم على ألفاظه إذ جاء معظمها كلاسيكي.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

المصادر:

١.اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، د. محمد مصطفى هدار، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م.
٢.بنية اللغة الشعرية، جان كوهين، ترجمة: محمد الولي – محمد العمري، الدار البيضاء للنشر، المغرب، ط١، ١٩٨٦م.
٣.تاريخ الأدب الأندلسي، د. محمد زكريا عناني، دار المعرفة الجامعية، تونس، ط١، ١٩٩٩م.
٤. تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والأمارات، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٣،(د.ت).
٥.تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، الذهبي (ت ٧٤٨هـ) تحقيق : د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٦.تحفة القادم , ابن الابار محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي (ت٦٥٨هـ), اعاد بنائه وعلق عليه: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت, ط١, ١٩٨٦م.
٧.تحليل الخطاب الشعري– ستراتيجية التناص، د. محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط١،١٩٨٥م.
٨.التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، تحقيق: عبدالسلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان (د.ط)، ١٩٩٥م.
٩.جماليات اللغة الشعرية – دراسة في ديوان راشد عيسى، شهيرة حمد المراجلة، رسالة ماجستير، جامعة مؤته، كلية الدراسات العليا، ٢٠١٥م.
١٠.الحيوان، الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٦٥م.
١١. الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة ، أبو عبدالله محمد المراكشي (٧٠٣هـ) ، تحقيق :د. إحسان عباس وآخرون ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ،ط١، ٢٠١٢م
١٢.سير أعلام النبلاء (ت٧٤٨هـ) , تحقيق وعناية: محمد أيمن الشبراوي، دار الحديث , القاهرة، (د.ط), ٢٠٠٦م.
١٣.شعر ابن هشام القرطبي، د. صفاء عبدالله برهان، مجلة سر من رأي، مج/١٦، ع/٦٥، ٢٠٢٠م.
١٤.العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, ابن رشيق القيرواني (ت٤٦٣هـ) , تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد, دار الجيل, ط٥ , ١٩٨١م.
١٥.فن الشعر الخمري وتطوره في الشعر العربي، ايليا حاوي، منشورات الشرق الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦٠م.
١٦.فن المديح وتطوره في الشعر العربي، أحمد أبو حاقة، دار الشرق الجديد، بيروت، ط١، ١٩٦٢م.
١٧.معجم البلدان، ياقوت الحموي(٦٢٦هـ) , تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
١٨.المعجم الشعري – بحث في الحقول الدلالية للكلمة في الخطاب الشعري بلند الحيدري أنموذجا، إبراهيم جابر علي، أمواج للنشر والتوزيع، عمّان، ط١، ٢٠١٥م.
١٩.معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٩٤م.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8

مَجلّة البَاحِث للعُلوم الإسْلاميَّة
Researcher Journal For Islamic Sciences
Published by the College of Islamic Sciences at the University of Fallujah
ISSN p.p:2708-3993/ ISSN o.l: 2708-4000
Vol;1- Issue;2/ (2025)

٢٠.المغرب في حلى المغرب , أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي(ت٦٨٥هـ) , تحقيق: خليل المنصور , دار الكتب العلمية، بيروت , ط١، ١٩٩٧م.

٢١.نفح الطيب من غصن الأندلسي الطيب , شهاب الدين احمد بن محمد بن احمد بن يحيى , ابو العباس المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ), تحقيق: يوسف الشيخ البقاعي , دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٢.الوافي بالوفيات , صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي (ت٧٦١هـ) , تحقيق: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى , دار احياء التراث , بيروت , (د.ط) ١٤٣٠هـ, ٢٠٠٠ م.

٢٣.الوساطة بين المتنبي وخصومه، عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم علي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي،مصر، (د.ط)، (د.ت).

٢٤.الوصف في الشعر العربي، عبدالعظيم قناوي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط١، ١٩٤٩م.

Doi:10.37940/RJIS.2025.1.2.8